

سورة الرعد

فصل

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى

في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ، قُلْ سَمُّوهُمْ ﴾ ^(١) قيل المراد سموهم بأسماء حقيقة لها معان تستحق بها الشرك له والعبادة ، فإن لم تقدروا بطل ما تدعونه .

وقيل : إذا سميتموها آلهة فسموها باسم الإله ، كالخالق والرازق ، فإذا كانت هذه كاذبة عليها فكذلك اسم الآلهة ، وقد حام حول معناها كثير من المفسرين ، فما شفوا غليلاً ولا أرووا غليلاً ، وإن كان ما قالوه صحيحاً .

فتأمل ما قبل الآية وما بعدها يطلعك على حقيقة المعنى ، فإنه سبحانه يقول : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ؟ ﴾ ^(٢) وهذا استفهام تقرير يتضمن إقامة الحجة عليهم . ونفي كل معبود مع الله ، الذي هو قائم على كل نفس بما كسبت بعلمه وقدرته ، وجزائه في الدنيا والآخرة ، فهو رقيب عليها ، حافظ لأعمالها ، مجاز لها بما كسبت من خير وشر . فإذا جعلتم أولئك شركاء فسموهم إذاً بالأسماء التي يسمى بها القائم على كل

(١) سورة الرعد آية رقم ٢٢ .

(٢) سورة الرعد آية رقم ٢٢ .

نفس بما كسبت ، فإنه سبحانه يسمى بالحي القيوم ^(١) ، المحيي المميت ^(٢) ، السميع البصير ، الغني عما سواه وكل شيء فقير إليه ^(٣) ، ووجود كل شيء به ، فهل تستحق آلهتكم اسماً من تلك الأسماء ؟ فإن كانت آلهة حقاً فسموها باسم من هذه الأسماء ، وذلك بهت بين ، فإذا انتفى عنها ذلك علم بطلانها كما علم بطلان مسماها .

وأما إن سموها بأسمائها الصادقة عليها كالحجارة ، وغيرها من مسمى الجمادات ، وأسماء الحيوان التي عبدوها من دون الله ، كالبقر وغيرها ، وبأسماء الشياطين الذين أشركوهم مع الله جل وعلا ، وبأسماء الكواكب المسخرات تحت أوامر الرب ، والأسماء الشاملة لجميعها أسماء المخلوقات : المحتاجات ، المدبرات ، المقهورات .

وكذلك بنو آدم عبادة بعضهم بعضاً ، فهذه أسماؤها الحقّة وهي تبطل إلهيتها ^(٤) ؛ لأن الأسماء التي من لوازم الإلهية مستحيلة عليها ؛ فظهر أن تسميتها آلهة من أكبر الأدلة على بطلان إلهيتها ، وامتناع كونها شركاء لله عز وجل .

(١) قال تعالى : ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ .

(٢) قال تعالى : ﴿ هو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم إليه ترجعون ﴾ .

(٣) قال تعالى : ﴿ يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد ﴾ .

(٤) كما قال فرعون : ﴿ وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري ﴾ وقال أيضاً

﴿ فاجعل لي صرحاً لعلي اطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين ﴾ .

سورة القصص آية رقم ٣٨ .